

اللغة العربية القديمة في شمال الجزيرة العربية بين النقوش والدلالة

ANCIENT ARABIC LANGUAGE IN NORTHERN ARABIA: BETWEEN INSCRIPTIONS AND SEMANTICS

أكنولا نورالدين أادي^١

ملخص

تسعى هذه الدراسة إلى البحث عن العلاقة المتطورة بين النقوش ودلالاتها في اللغة العربية الشمالية القديمة، مع التركيز على مجموعة نصوص يعود تاريخها إلى الفترة الممتدة من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي، والتي تم اكتشافها في مدينة الحِجر والمناطق المحيطة بها. وعلى الرغم من الاعتراف بهذه النقوش كقطع أثرية قيّمة؛ إلا أن تطورها الدلالي وانعكاساتها الثقافية لا تزال غير مدروسة بشكل كافٍ. وتُحلل هذه الدراسة، من خلال الجمع بين التحليل الكتابي ونظرية الحقل الدلالية، مجموعة مختارة من نقوش بهدف تحديد وتفسير التحولات في المفردات الرئيسية المتعلقة بالبنية الاجتماعية والممارسات الدينية والأنشطة الاقتصادية. وتكشف النتائج عن تحول تدريجي من مجتمع بدوي إلى مجتمع أكثر استقراراً، ينعكس في المعاني المتغيرة للمصطلحات المرتبطة بالقرابة والتجارة وعبادة الآلهة. وتساهم هذه الدراسة في فهم أعمق للغة العربية الشمالية القديمة وثقافتها، مما يلقي الضوء على ديناميكيات التغيير الاجتماعي والتواصل الثقافي في المنطقة خلال تلك الفترة المحورية

Abstract

This study investigates the evolving relationship between inscriptions and semantics in ancient North Arabian, focusing on a corpus of texts dating from the 1st century BCE to the 4th century CE discovered in Al-Hijr and its surrounding region. While these inscriptions are recognized as valuable artifacts, their semantic evolution and cultural implications remain understudied. Employing a combination of epigraphic analysis and semantic field theory, this study analyzes interpret shifts in key vocabulary related to social structure, religious practices, and economic activities. The findings reveal a gradual transition from a nomadic to a more settled society, reflected in the changing meanings of terms associated with kinship, trade, and deity worship. This study contributes to a deeper understanding of ancient North Arabian language and culture, shedding light on the dynamics of social change and cultural contact in the region during this pivotal period.

^١ أكنولا نورالدين أادي، طالب الدكتوراه بقسم الآثار (التخصص الكتابات)، كلية السياحة والآثار، جامعة

الملك سعود بالرياض. اتصال الموبايل: +966 55 436 8771 .

يبقى اختلاف الاستعمال اللغوي بين أبناء اللغة الواحدة أمرا لا يختلف فيه اثنان، فهو - إن صح التعبير - أمر واقع في كل اللغات، وذلك أن اللغة واحدة وعديدة في آن واحد، واحدة لدى كل الشعوب، ولكنها متعددة بتعدد جميع الأفراد الذين يتكلمونها. وقد أدرك علماء العربية أن للعرب لهجات متعددة لا تجري على سنن واحد، حيث إن العرب قبل الإسلام يتكلمون على مقتضى سجيتهم التي فطرهم الله عليها، كل بحسب لهجته وبيئته التي نشأ فيها، فجاءت طرقهم في التعبير والإبانة مختلفة، وهذه من سنن الله تعالى إذ جعل التفاوت والتباين واللهجات مظهرا من مظاهر آيات الله تعالى الدالة على قدرته. وكانت العربية الشمالية قد بسطت نفوذها على أجزاء كبيرة من جزيرة العرب في مرحلة سبقت ظهور الإسلام بكثير، إذ لم يظهر الإسلام إلا وأكثر العرب يتكلمون بلغة واحدة، يتخذونها أداة للاتصال فيما بينهم، وقد سبق هذا التوحد ظهور لغات لأقوام من العرب في شمال الجزيرة العربية وجنوبها.

وتعد دراسة النقوش العربية القديمة من أهم المصادر المتاحة لدراسة إنسان الجزيرة العربية في عصور ما قبل الإسلام، وتدوين تاريخه وثقافته، كما تعد المصدر الرئيسي للمؤرخين والباحثين عن تاريخ الجزيرة العربية، وهي أيضا عبارة عن دليل مادي ملموس يصور كل ممارسات ذلك الإنسان في شتى جوانب حياته اليومية من عقائد دينية وعادات اجتماعية، وعلاقات داخلية وخارجية مع الأمم المجاورة، وسجل كامل وشامل لمنجزات إنسان الجزيرة العربية قديماً، نستطيع من خلالها أن نشكل صورة واضحة الملامح لمجتمعات الجزيرة العربية القديمة. (ولفنسون، ١٤٣٨هـ، ص ١٥٠)

وامتدادا لذلك كله، تأتي الصفحات التالية بالحديث عن اللغتين من بين اللغات العربية الشمالية القديمة في الجزيرة العربية وهما الدادانية والشمودية؛ وذلك لمحاولة إبراز أحد الجوانب اللغوية في الجزء الشمالي من الجزيرة العربية من خلال النقوش والكتابات التي خلفوها، ولأن النقوش التي عثر عليها في مواقع هاتين اللغتين لها قيمة علمية لغوية كبيرة عند المهتمين بتاريخ اللغة العربية.

أولاً: لغة النقوش الدادانية

مدخل تاريخي

الدادانية نسبة إلى (دادان) وهي مملكة عربية قديمة قامت فيما يسمى حالياً بالعلا شمال غرب الجزيرة العربية، وكان لها تأثير كبير في تجارة الشرق القديم وثقافته، وأهم من كتب عنها البروفيسور البرايت الذي قال: إنها قد نشأت في تاريخ يعود إلى ما قبل القرن السادس قبل الميلاد، عملاً بما جاء في عدة مواضع من التوراة (شرف الدين، أحمد حسين، ١٩٨٥م، ص ٥٥)

لقد امتد سلطان مملكة "دادان" إبان فترة ازدهارها خلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد إلى كثير من المواقع المجاورة، ومنها الحجر (مدائن صالح)، الواقعة على مسافة حوالي ٢٢ كم شمال دادان (العلا)، وذلك ضمن باقي المواقع الأخرى المحيطة بمنطقة العلا، وقد دلت الشواهد الأثرية والنقوش، من العلا ومدائن صالح وتيماء، على فترات متفاوتة تجمع بين القوة والضعف مرت بهذه المملكة، كما أشارت إلى بعض الصراعات التي عايشتها، ويفهم من فحوى هذه المصادر أن دادان كان يحكمها حكام شغلوا منصب الملوك وحملوا ألقابهم. كما أنهم تمتعوا بدرجة عالية من التنظيم السياسي والرقى الاجتماعي، وتشير كذلك العديد من النقوش إلى وجود منظومة دفاعية لحفظ

الأمن والاستقرار في المنطقة. ويفهم من النصوص والمصادر التاريخية الخاصة ببلاد الرافدين ومنطقة شمال الجزيرة بصفة عامة، وقوع موقع دادان ضمن غيره من مواقع شمال غربي الجزيرة العربية تحت سيطرة الملك البابلي نبونيد طوال فترة إقامته في تيماء، بني عامي ٥٤٣-٥٥٣ ق.م.

لعله من الإنصاف الإشارة إلى أن المعلومات عن التاريخ السياسي والاجتماعي لمملكة دادان لا تزال قليلة بالمقارنة مع مثيلاتها من ممالك شمال الجزيرة العربية، إلا أن رواية المصادر التي تحدثت عن دادان المكان والمملكة تؤكد وجود مملكة عربية حملت اسم مملكة دادان، واتخذت من العلا مركزاً لها، كما كشفت هذه المصادر عن جملة من المسائل في التاريخ السياسي والاجتماعي لمملكة دادان. ولقد تحدثت الآثار والنقوش الدادانية التي كشف النقاب عنها في منطقة دادان (العلا) عن طبيعة السيادة الدادانية في واحة العلا، إذ يشير أحد النقوش الدادانية إلى أن هرم السلطة في دادان كان يقوم عليه شخص بمنصب ملك.

ومن جهة أخرى جاء ذكر دادان في المصادر غير الدادانية في عدد من نقوش تيماء الثمودية، حيث عثر في جبل غنيم على مجموعة من النقوش تؤرخ لحرب وقعت في دادان، كما أشارت مجموعة من نقوش منطقة (رم) الواقعة جنوب غرب تيماء كتبت من قبل أشخاص من أهل تيماء إلى إقامتهم في دادان على نحو: (فلان بن فلان حلّ في دادان). (الحمود، ولاء: ٢٠، ٢٠م)

وضمن إطار العلاقة بين مناطق شمالي الجزيرة العربية وبلاد الرافدين، يجد المرء في المصادر المسمارية، منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد، إشارات في الحوليات الآشورية والبابلية تتحدث عن تلك العلاقة التي اتسمت في الغالب بالصراع الدائم بين ممالك شمالي الجزيرة

العربية وقبائلها وحكام الدولة الآشورية والبابلية. وبغض النظر عن أسباب ذلك الصراع، وما آل إليه من أحداث تاريخية، فقد اشتملت الكتابات البابلية والآشورية وما سجله ملوكها في حولياتهم على معلومات مهمة حول تاريخ ممالك شمالي الجزيرة العربية وقبائلها خلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، ومن بينها دادان المكان والمملكة؛ فقد جاء ذكرها في نص (حران) الذي يتحدث عن حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غربي الجزيرة العربية، ضمن المناطق التي يذكر النص أن نبونيد احتلها. (السعيد، سعيد بن فايز إبراهيم، ٢٠٠٠م، ص ٧)

وأرى أن ما يبدو هو الإشارة إلى أن نبونيد أحكم سيطرته على منطقة دادان طوال فترة إقامته في تيماء التي امتدت بين عامي ٥٤٣ و ٥٣٥ ق.م، ويشتمل النص نفسه على إشارة مهمة إلى ملك دادان (ميش شُرُّ شا دَ - دَن)، وعلى الرغم من أن النص لا يفصح عن اسم الملك الداداني، أو عما فعله معه نبونيد، فإن الإشارة فيه تؤكد أن دادان كانت إبان حملة الملك البابلي نبونيد على المنطقة ذات كيان سياسي مستقل، وكانت تتمتع بنظام سياسي مركزي في دادان والمناطق المحيطة بها. وثمة إشارات أخرى في المصادر الآشورية جاءت بصيغة (ددم، تيدنم)، وقد حاول بعض الدارسين ربطها بدادان في شمال غربي الجزيرة العربية؛ ولكن تلك الإشارات يجب أن تؤخذ بحذر شديد، فالسياق التاريخي والجغرافي لورود تلك المصطلحات الجغرافية لا يدعم كون المقصود فيها منطقة دادان (العلا) في شمال غربي الجزيرة العربية.

ويعتقد الباحث أن هذا الموقع كان هو عاصمة هذه المملكة التي امتد نفوذها ليغطي العلا وما جاورها، بل إن الوجود الداداني مثبت من خلال الحفائر الحديثة التي تمت في موقع الحجر، والذي يبعد قرابة ٢٠ كم شمال موقع دادان (الخريبة). وبناء على تلك

النظرة، فإنني أرى أنه لا تزال هذه الحضارة لم تدرس بشكل كافٍ والمعلومات عنها تعتبر ضئيلة نوعاً ما، ولكن المصادر التاريخية التي تحدثت عن دادان تؤكد وجود مملكة تدعى دادان، اتخذت من الخريبة مركزاً لها.

ولقد أشارت النقوش الجديدة التي عثر عليها في عدد من المواقع الأثرية ومنها الحجر إلى العديد من الجوانب السياسية والاجتماعية لمملكة دادان، ويفهم من محتوى هذه النقوش أن الدادانيين تمتعوا بدرجة عالية من التنظيم السياسي والرقمي الاجتماعي. كما تحدثت نقوش أخرى من الحجر عن وجود نظم أمنية في المجتمع الداداني، حيث ذكرت بعض النقوش أن أصحابها قاموا بحراسة دادان، ولا يوجد مثل هذا التنظيم إلا بوجود سلطة تقوم بتنظيم شؤون الدولة، وهذا يدل على وجود تنظيمات إدارية في المجتمع، كما تشير النقوش أيضاً إلى أن هرم السلطة في هذه المملكة يقوم عليه شخص بمنصب ملك. والمعروف حالياً من الملوك الذين حكموا دادان ثلاثة ملوك: الأول هو متع إل، حيث ورد اسمه في عدد من النقوش التي درسها أبو الحسن، وبهذا يمكن إضافة هذا الاسم إلى قائمة الملوك الذين حكموا دادان، وربما كان هو والد الملك كبير إل بن متع إل الذي سبق ذكره أعلاه. الملك الثاني هو كبير إل بن متع إل الذي سبق ذكره أعلاه. أما الملك الثالث فهو عاصي، حيث ورد في نقش محتواه أن عاصي ملك دادان فعل لطحلان، أي ربما أنه قدم قرباناً للآلهة الدادانية طحلان. (السحبياني، عبد الرحمن، يونيو ٢٠٢١ م - شوال ١٤٤٢ هـ)

لغة النقوش الدادانية

من الإنصاف قبل عرض مفردات النقوش الدادانية وتحليلها بمثيلاًتها في العربية الفصحى؛ الإشارة إلى معرفة لغة هذه النقوش. ومن خلال قراءتنا للنصوص الشمالية القديمة يتضح

أن لغة النقوش الدادانية كانت لغة سكان العلا، وقد تمكن هؤلاء من ابتكار خط خاص بهم يطلق عليه اسم الخط الداداني، وذلك نسبة إلى موقع سكنهم دادان (العلا حالياً).

ترجع أصول أصحاب اللغة - إن صح التعبير - إلى منطقة الجوف وكانوا يتحدثون باللغة المعينية العربية، ولغتهم هي الأقرب إلى اللغة العربية الفصحى واللغة السبئية المتأخرة. وقد أطلقت الكتب اليهودية اسم الددانيين على المعينيين نسبة إلى مستوطنة ددن المكان الذي تستريح فيه القوافل المعينية القادمة من اليمن. وحسب ما ورد في سلسلة النسب دادان هو شقيق سبأ وأبوهم هو يقشان وعمهم هو مدين، وقد يكون المقصود بـ"يقشان" قبيلة فيشان والتي منها ملوك سبأ الأوائل.

وعلى هذا؛ فقد عرفت أن لغة أصحاب هذه النقوش في ذلك العصر هي اللغة المعينية، ولغتهم هي الأقرب إلى اللغة العربية واللغة السبئية المتأخرة، وخطهم هو الخط المسند الجنوبي. ويدل انتشار الكتابات المعينية بهذا الحجم الكبير في العلا وما حولها على أن طبقة متعلمة هاجرت من اليمن مما يؤكد اهتمامهم بالقراءة والكتابة. وتعد اللغة الدادانية قريبة من اللغة العربية، غير أن الدادانية تتميز تعد فريدة من نوعها في النقوش العربية الشمالية القديمة، حيث تستخدم الحروف "ه، و، ي" لتمثيل حروف العلة: "أ، و، ي" على التوالي في نهاية الكلمات، وبالإضافة إلى ذلك فهي تستخدم خطوطاً رأسية على نحو دائم تقريباً لفصل الكلمات.

وقد ابتكرت لغة النقوش الدادانية خطها من ثمانية وعشرين حرفاً صامتاً، بنيت أشكال حروفها وطريقة رسمها وفق الشكل العام الذي أسس عليه الخط العربي الجنوبي (خط المسند) والخط العربي الشمالي (الخط الثمودي) من حيث اعتماده على الحروف

الساكنة، وحذف الحروف المتحركة القصيرة والطويلة من رسم الكلمات. وتشير نتائج الأبحاث المتعلقة بذات الموضوع أن أقدم النقوش الدادانية المكتشفة حتى الآن تعود إلى القرن السابع ق.م، وآخرها يعود إلى القرن الأول ق.م، مما يعني أن بداية الكتابة بالخط الداداني ليست محسومة حتى الوقت الراهن، ومن المرجح أن تعود بواكير الخط الداداني إلى فترة زمنية أقدم من القرن السابع ق.م، خصوصاً وأن نقوش القرن السابع ق.م كتبت بحروف متناسقة ومتقنة الشكل، وهذا يعني أن ثمة مرحلة سابقة تطور خلالها الحرف حتى بلغ شكله المتقن في نقوش القرن السابع ق.م. (السعيد، سعيد فايز إبراهيم، ٢٠١٤م، ص ٢٨٢)

ومما يستنتج من هذا كله؛ أن الدادانية كانت تسمى سابقاً "الدانيت" و"اللحيانية" وهي الأبجدية التي استخدمها سكان واحة دادان القديمة (دادان التوراتية، العلا الحديثة في شمال غرب المملكة العربية السعودية)، ربما في وقت ما خلال النصف الثاني من الألفية الأولى قبل الميلاد. كانت دادان مركزاً مهماً على طريق القوافل التي تنقل البخور من جنوب الجزيرة العربية القديمة إلى مصر والشام والبحر الأبيض المتوسط، ولديها نفس ذخيرة اللغة العربية المكونة من ٢٨ صوتاً، وهي العضو القديم الوحيد في عائلة الكتابة السامية الجنوبية التي تستخدم مواد القراءة، أي بعض الحروف - h، w، y - لتمثيل كل من الحروف الساكنة وحروف العلة أو في حالة إدغام؛ تم استخدامه لكل من النقوش الضخمة والكتابة على الجدران. حقيقة أن العديد من الحروف طورت أشكالاً غير رسمية، في نفس الوقت الذي تم فيه استخدام الأشكال الرسمية - يمكنني رؤية كلا الشكلين في نفس النقوش - تشير بقوة إلى أن النص كان يستخدم على نطاق واسع للكتابة بالحبر. وذلك لأن تغيير شكل الحرف لا يفيد من ينحت إلا على الحجر. فقط

عندما يكتب المرء بالحبر، فإن ضغوط السرعة والسهولة توفر حافزًا لتطوير أشكال الحروف لجعلها أسهل وأسرع في الكتابة. ثم يتم أحيانًا نقل هذه الأشكال الجديدة إلى الحجر. تتركز النقوش والكتابات الدادانية بشكل رئيسي في واحة العلا والجبال المحيطة بها، مع القليل منها موزع على نطاق أوسع.

خصائص النقوش الدادانية وموضوعاتها

إنّ معظم النقوش الدادانية التي عُثِرَ عليها في منطقة العلا تتحدث عن أمور شخصية؛ فعلى سبيل المثال هناك نقوش تتحدث عن تقديم قرابين إلى معبوداتهم، حيث جاء أغلبها مقدمًا للمعبود اللحياني الرئيسي (ذو غيبة)، وذلك في قولهم: "ل ش ع ت ع ل أ ل ك م ه م ث ع د ك ل ل ه ف ع ر ر ذ غ ب ت ع ر ر ه س ف ر ذ ه"، (القحطاني، نواف بن سعيد، ١٤٤٤هـ) أي لأتباع علي إل شد المتعد لكه وليدمر ذو غيبة من يخرب النقش هذا. وكتبت بعض هذه النقوش على أواني القرابين نفسها، وبعضها الآخر على أحواض حجرية أو على مسلات حجرية. ومن النقوش الدادانية ما تتحدث عن أنواع الندور والقرابين التي كان يقدمها الدادانيون لمعبوداتهم مثل: "أم ت ي ث ع ن ب ن ت د د ن ذ ر ت ب ع د ب ن ت ه ق ن ب ن ت ح ث ل ل س ل م ن ه م ذ ن ذ ر ت ع ل ه أ م ه ف ر ض ه و س ع د ه"، أمة يثعان بنت داد نذرت عن بنتها قني بنت حثل للإله سلمان منذ أن نذرت عليها أمها فرضيها وأسعدها. وإضافة إلى أسماء الآلهة والشخصيات التي وردت في النقوش الدادانية الأخرى، هناك مجموعة من الموضوعات التي كانت تتحدث عنها النقوش الدادانية. وفيما يلي عرض موجز لهذه الموضوعات:

■ **النقوش الدينية:** تعد النقوش الدينية الأكثر انتشاراً في الكتابة من قبل المجتمع الداداني، وتتركز في جبل عكمه الذي خصص لتوثيق ما يتم عمله أو تقديمه للمعبود الرئيسي ذو غيبة من أعمال وغيرها. ونقصد بالنقوش الدينية تلك النقوش التي ترد بها مفردات مرتبطة بالدعاء مثل العبارات التي تأتي عادة في أواخر النقوش الدينية منها: فرضي عنهم وأسعدهم وعن ذريتهم، وغالبية النقوش الدينية كتبت من قبل نحّات؛ وبالتالي تصنف ضمن النقوش الرسمية، وتندرج تحت ما يسمى بالنقوش النذرية ونقوش الحج. (السعيد، سعيد بن فايز، وآخرون، ص ٢٣٨)

■ **النقوش السياسية:** هي تلك النقوش التي تتناول الجانب السياسي لمملكتي دادان ولحيان، فمن خلالها يمكن معرفة الأدوار السياسية لمملكتي دادان ولحيان وما تعكسه من معلومات تاريخية، وعادة ما تحمل النقوش السياسية أسماء ملوك دادانيين أو لحيانين، وكذلك تتضمن أحداثاً تاريخية كان لها دور بارز في الكيان السياسي في ذلك الوقت. ومن تلك النقوش على سبيل المثال نقش ضبعان الذي أُخّ لنقشه في عام القتال الواقع بين فضج ويثع: "ض ب ع ن ذ أ ب ت ث ط ع م ق ت ل ف ض ج و ي ث ع". (السليمي، مالك بن عبيد، ٢٠٢٣م، ص ٩٣). ويؤكد ذلك ما ذهب إليه السعيد أن النقوش الدادانية التي كشف النقاب عنها حتى الآن في منطقة دادان (العلا) تحدثت عن طبيعة التركيبة السياسية لدادان في واحة العلا، حيث يشير أحد النقوش الدادانية إلى أنّ هرم السلطة في دادان كان يقوم عليه شخص بمنصب ملك (ملك دادان)، وأنّ نظام الحكم كان يسير وفق النظام الوراثي، أي انتقال الزعامة من الأب إلى الابن. ويتضح ذلك جلياً في شاهد قبر الملك "كبرإل بن متع إل" الذي نعت في متن النص بأنه ملك دادان، وعلى ما يبدو أن هذا الملك ورث الحكم

من أبيه "متع إل"، وهذا ما يعززه أحد النقوش الدادانية على قمة جبل إثلب الواقع في الجهة الشرقية من الحجر. (السعيد، سعيد فايز إبراهيم، وآخرون، السابق)

■ **نقوش المراقبة:** وهي النقوش التي يذكر بها الفعل "ه ظ ر" والفعل "ح ر س" وكلاهما يفيدان المراقبة والحراسة، وعادة ما توجد هذه النقوش على واجهات صخور الجبال العالية؛ كقمة جبل إثلب في الحجر والقمم الشمالية في جبل دادان، وغالبية نقوش الرقابة تتم كتابتها من قبل أصحابها، غير أنّ في جبل إثلب في الحجر وجدت منقّدة بدقة عالية؛ لذا قد يكون أنّ النقش نفذ من قبل نحّات متخصص بدقة عالية؛ أو أن المراقب نفسه يجيد حرفة الكتابة على الصخر. والجدير بالذكر أنّ بعض مواقع نقوش الرقابة يوجد بها فنونا لأشكال بشرية تظهر أشخاصا يحملون أسلحة، وبالتالي فإن ذلك يؤكّد وجود المراقبة لدى الدادانيين واللحيانيين في منتصف الألف الأول قبل الميلاد.

■ **النقوش التذكارية:** وهي نقوش قصيرة تقتصر على ذكر أسماء أعلام فقط، حيث يكتب كاتب النقش أو اسمه واسم أبيه ويفصل بينهما أداة البنوة "بن"، وأحيانا يلحق بالاسم اسم القبيلة. وتعتبر النقوش التذكارية أكثر أنواع النقوش الدادانية انتشارا كتبت على الصخور؛ ويعود ذلك لمحتواها القصير والتي تكتب بواسطة أصحابها، وعادة تكون بذكر أحد الأفعال التالية: (ت ق ط، س ط ر، ك ت ب). ومن المهم أن تكون النقوش التذكارية قصيرة ومباشرة، وتعتمد على ذكر الأسماء فقط دون إضافة تفاصيل أخرى. تتم كتابة هذه النقوش عادةً على الصخور، وهي تعد أحد أنواع النقوش الدادانية الشهيرة التي تعبر عن ذاكرة الشعوب وتاريخها.

■ **النقوش التشريعية:** وهذه النقوش أغلبها تم العثور عليه حتى الآن في حفريات موقع دادان الخريبة الأثري، وهي نصوص قانونية ما تضمنته أشبه ما يكون بمواد الأحكام العامة، ومنها ما يتعل بالجرائم مثل: السرقة والقتل والتعدي. (السعيد، سعيد فايز إبراهيم، وآخرون، السابق، ص ٢٨٤). وبعبارة أخرى تُعتبر مصدرًا قيمًا لفهم نظام القوانين والعقوبات في الحضارة التي كانت تزدهر في تلك المنطقة. وهذه النقوش تقدم لنا نظرة فريدة على كيفية تنظيم المجتمع وتطبيق العدالة في العصور القديمة. ويصح أنه من خلال دراسة هذه النصوص، يمكن للمؤرخين والعلماء الاجتماعيين فهم مفهوم العدالة والقانون في تلك الحضارة، وكيف تم تطبيقها على الأفراد والمجتمع ككل.

ضيف إلى ذلك أن من بين المواضيع التي تمت معالجتها في النقوش التشريعية التي تم العثور عليها في موقع دادان الخريبة الأثري هي الجرائم مثل: السرقة والقتل والتعدي. ويُعتقد أن هذه النصوص كانت تحدد العقوبات المناسبة لمن ارتكب هذه الجرائم، وتوفر إطارًا قانونيًا لتطبيق العدالة في تلك الحضارة. ويمكن لدراسة هذه النقوش أن تكشف لنا أيضًا عن القيم والمبادئ التي كانت تهم الحضارة القديمة، وكيف كانت تسعى للحفاظ على النظام والأمن الاجتماعي من خلال تطبيق القوانين والعقوبات.

■ **النقوش الجنائزية:** وهي النقوش التي تتخذ عن المدافن، وعلى سبيل المثال المدافن الصخرية في السفح الغربي من جبل دادان، حيث ذُكرت نقوش تثبت وجود علاقة بين النقش والمدافن، ويذكر بها عادة الأسماء مثلًا: "خ ل س"، "ه ق ب ر"، "ه م ث ب ر"، "ن ف س"، "ك ف ر". (القحطاني، ص ١٩٩)

وتتميز النقوش الدادانية عن باقي النقوش الشمالية؛ أنّ بعضها مؤرخ بسنوات حكم ملوك دادان، حيث يذكر النقش أنّ الحدث وقع في سنة كذا من حكم الملك فلان؛ مما

ساعد على معرفة التسلسل الزمني لمملكة دادان، وأنّ الحكم فيه كان وراثيًا، وفي معرفة تطور الكتابة من خلال أشكال الحروف، مثل قولهم: "أ ب أ ل ف ب ن ح ي و ك ب ر ه د ع ت ش ع ت ه ن ص و ر ب ه م ح ر م ن ح ر ب ن و خ ي م ل ب ر ي ش ع ت ه ن ص أ خ ذ و ه م ك ن و ه م ق ع د ذ ه ك ل ل ه م ن م ع ن ه ج ب ل ه ن أ ع ل ي ع د ك ي م ع د ه ج ب ل ه ن أ س ف ل ف ر ض ي ه م س ن ت خ م س ب ر أ ي ع ب د ن ه ن أ س، أي أب ايلاف بن حيو كبير الجماعة جماعة هنص وسيدهم حرم نحر بن وخيم كبير مجلس هنص أخذوا هذا المكان والمقعد كلع من قمة الجبل الأعلى حتى قاع الجبل الأسفل فرضي الإله عنهم سنة خمس من عهد عبدان بن هن أوس.

ولعل مما تميزت به النقوش الدادانية أيضا، أنها تقدم معرفة مهمة عن بنية دولة دادان في النصف الأول من الألف الأول ق.م في واحة العلا. وعلى الرغم من أنّ معلوماتنا عن التاريخ السياسي والاجتماعي عن مملكة دادان لا تزال قليلة بالمقارنة مع مثيلاتها من ممالك شمال الجزيرة العربية اللحيانية والنبطية، إلا أنّ رواية المصادر التي تحدثت عن دادان المكان والشعب على قلتها تؤكد وجود مملكة حملت اسم مملكة دادان واتخذت من اسم المكان علما لاسم مملكتها. (السعيد، سعيد فايز إبراهيم، السابق، ص ٢٨٦).

ثانيا: لغة النقوش الثمودية

مدخل تاريخي

النقوش الثمودية تشير إلى مجموعة من النقوش الصخرية التي تم العثور عليها في مناطق مختلفة من العالم العربي، خاصة في مناطق الجزيرة العربية، وتمثل هذه النقوش رموزاً ونقوشاً

فنية وكتابات تاريخية؛ يعتقد أنها تعود إلى فترات زمنية معينة، وقد تم اكتشافها بشكل رئيسي في المناطق التي كانت مأهولة بالعديد من القبائل والحضارات القديمة.

أما بخصوص هوية أصحاب هذه النقوش، فقد اختلف الباحثون والدارسون في تحديد من هم أصحابها؛ ولهم في هذا الموضوع رأيان: أولهما يرى أنّ أصحاب النقوش الثمودية هم قوم ثمود أصحاب نبي الله صالح عليه السلام المذكورين في القرآن الكريم؛ استناداً في ذلك على آيات قرآنية كثيرة ورد فيها ذكر ثمود على سبيل الحكاية والعظة والاعتبار بمصيرهم الذي آلاوا إليه، بسبب تكذيبهم نبي الله صالح عليه السلام، وصددهم عن سبيل الله، واستحبابهم العمى على الهدى.

والرأي الثاني يرى أنّ أصحاب النقوش الثمودية ليسوا بالضرورة قوم ثمود الذين ذكروا في القرآن الكريم، بل يعتقد هؤلاء الباحثون أنّ النقوش الثمودية تشير إلى شعوب أو قبائل أخرى تعيش في المناطق الصحراوية والجبلية التي كانت تسكنها قبائل ثمود، وأنها لا ترتبط بالقوم الذين ذكروا في القرآن. يستند هؤلاء الباحثون إلى دراسات أثرية وتاريخية لمعرفة هوية أصحاب النقوش الثمودية، وقد يقومون بتحليل النقوش الأثرية والمراجع التاريخية لتحديد السياق الزمني والثقافي لهذه النقوش.

وقد اختلف الجغرافيون الأوروبيون والعرب حول المكان الأول والمنبع الأصلي لشعب ثمود، فمنهم من ذهب إلى أنّ موطنهم الأصلي الحجاز على ساحل البحر الأحمر كديودورس وأغاثر سيدس، ومنهم من حدده بدومة الجندل كبليبي ويوسفوس، ويتفق معهما غالبية مؤرخي العرب ومفسريهم. ويرى دوتي أنّ الوطن الأصلي للثموديين هو موضع الخريبة في الوقت الحاضر، ويحدده آخرون بما بين جبلي (أجأ) و(سلمى) المعروفين بجليبي طيء من أرض حائل في نجد حيث تسكن قبيلة شمر اليوم، وحيث كان الثموديون يسيطرون على

مداخل النفود، ومنهم تفرع الثديون كما نبه إلى ذلك بطليموس في جغرافيته. ونرى أن أماكن الثموديين الأصلية هي: ما يسمى اليوم بالوشم، والعارض، والقصيم، والفجيرة، وشمّر، وتيماء، ومدين، ومدائن صالح من شمال الجزيرة العربية.

لغة النقوش الثمودية وطريقة كتابتها

التمودية هي لهجة الشعب التمودي أو الأمة التمودية التي عاشت في منطقة شمال الجزيرة العربية منذ أعماق التاريخ، وخلفت لنا آثارا ونقوشا في كل مكان من هذه الأراضي التي تمتد من الجوف شمالا إلى الطائف جنوبا، ومن الأحساء شرقا إلى يثرب فأرض مدين غربا، وفي المسالك المؤدية إلى العقبة والأردن وسوريا، وحتى في أرض حضرموت من جنوب الجزيرة، وهذا - إن صح التعبير - دليل حي على أن التموديين كانوا في يوم ما السكان الأصليين لشمال الجزيرة. (شرف الدين، أحمد حسين، ص ٦١).

وربما يصح إذا قلنا إن النقوش التمودية التي وجدت في شمال جزيرة العرب كانت لغتها قريبة من العربية؛ فهي تتضح في أشكالها أنها مجموعة من النقوش في عدة لهجات من أوائل العربية الشمالية، مكتوبة بخط مشتق من الأبجدية العربية الجنوبية القديمة. وقد أثبت ولفنسون في كتابه عندما يتحدث عن مدى القرابة والصلة الواضحة بين هذه اللغة والعربية الفصحى: "لا شك أن أصحاب النقوش التمودية والصفوية من العرب، أو هم أقوام لهم اتصال متين بلغة العرب، ولكن العناصر الأعجمية الكثيرة البارزة فيها شوهتها وحرفتها كثيرا إلى أن محت منها شيئا غير قليل من الروح العربية والأسلوب العربي. ثم يجب أن لا ننسى أن النقوش الصفوية كشفت في غير مواطن العربية الأصلية، في منطقة اختلطت فيها عناصر كثيرة، تأثر كل منها بحضارات أمم مختلفة، على أن النقوش

التمودية التي كشفت في أرض عربية أقرب إلى الأسلوب العربي، وإلى أسماء الأعلام المألوفة في الجاهلية العربية أكثر من النقوش الصفوية". (ولفنسون، ص ١٦٥).

وأستخلص مما سبق أن ما ذهب إليه بعض الباحثين من أمثال لندسبرجو وباور من أن لغة شمال الجزيرة العربية إبان إقامة نبونيد فيها كانت آرامية، وأن سكان المنطقة آنذاك كانوا آراميين وليسوا عربا، معتقدين في ذلك أن لغة أسماء الأعلام التي ذكرتها المصادر الآشورية في حوليات سنحاريب وآشوربانيبال أثناء حملاتهم العسكرية على شمال الجزيرة العربية تتفق مفرداتها مع مفردات اللغة الآرامية، ولا يمكن تفسير دلالاتها ضمن إطار مفردات اللغة العربية؛ فهي وهم وغير دقيق، لأن مجموعة هذه النصوص تنفي ما ذهبوا إليه، بل تؤكد من جانب آخر على عروبة لغة المنطقة وسكانها، فبمجرد إطلالة على لغة مجموعة هذه النصوص تبين أن جل مفرداتها عربية أصيلة، والبقية الأخرى هي من تلك الكلمات التي يمكن تصنيفها ضمن إطار مفردات اللغات السامية المشتركة. والمتأمل لمجموعة هذه النقوش يرى أنها ليست دليلا على عروبة المنطقة وسكانها إبان إقامة نبونيد فيها فحسب، بل هي تساعد في تتبع تاريخ بعض مفردات لغة الفصحى والوقوف على أقدم الأدلة المعروفة حتى الآن لمفرداتها.

وقد اجتمع المؤرخون الإسلاميون على أن التموديين عرب، بل ويكادون يتفقون على أنهم من العرب العاربة ثم يذهبون بعد ذلك مذاهب شتى، حيث يرى فريق منهم أنهم بقية من قوم عاد، ومن ثم فإنهم يرون أنهم إنما نشأوا في اليمن، ثم غلبهم الحميريون فأجلوهم إلى الشمال، فسكنوا منطقة الحجر. وهناك فريق آخر يذهب إلى أنهم بقية من العماليق، ولعل هذا هو الذي دفع بعضا من المؤرخين المحدثين إلى القول بأن ثمود إنما هم شردمة من الهكسوس، الذين طردهم احمس الأول في حوالي عام ١٥٧٥ ق. م، من

مصر وأنهم سكنوا منطقة الحجر، حيث نحتوا من الجبال بيوتا على غرار المقابر المصرية القديمة التي شاهدها أثناء إقامتهم في مصر. وهناك فريق ثالث يذهب إلى أن الثموديين عرب جنوبيون، هاجروا إلى شمال غرب الجزيرة العربية كدأب كثير من القبائل الجنوبية التي اشتهرت بكثرة تنقلاتها، ولا أظن أن هذا الفريق من المؤرخين المحدثين قد أصاب كثيرا في رأيه هذا، لأن العادة أن يهاجر الناس من موطن القحط إلى الخصب والنماء، وليس الأمر كذلك بالنسبة إلى اليمن وشمال غرب الجزيرة العربية، ثم إن الهجرات العربية الجنوبية، إنما حدثت في وقت متأخر عن ذلك، ولعل أشهرها تلك الهجرات التي حدثت بعد التصدع الخطير الذي أصاب سد مأرب في القرن السادس الميلادي، وإن كنا نعرف هجرات يمنية متعددة إلى السواحل الإفريقية، بدأت منذ الألف الثاني ق. م.، واستمرت حتى القرن الثالث الميلادي، بل إن بعض الباحثين يرى أن الأحباش أنفسهم، إنما كانوا من غرب اليمن. (شرف الدين، أحمد حسين، ص ٦٨)

وأيا ما كان الأمر، فهناك ما يدل على أن الثموديين إنما كانوا من القبائل العربية التي سكنت شمال شبه الجزيرة العربية، هذا فضلا عن أن قبيلة ثمود هذه لم تكن مملكة بالمفهوم الحضاري، ولم تتوطن بشكل دائم في منطقة من المناطق إلا إذا أخذنا في الاعتبار ما يقوله بعض المؤرخين من أن النبطيين واللحيانيين أصولهم ثمودية، وعندئذ يمكن أن نقول إن هذه الممالك ممالك ثمودية باعتبار أصولها، وإن كانت قد اتخذت اسما جديدا. والأبجدية الثمودية هي نفس الأبجدية العربية القديمة مع نقص حرف واحد هو (الطاء)، ومع اختلاف في رسم الحروف فبعضها يكتب مقلوبا والبعض معكوسا، ومعظم الكتابات الثمودية شواهد قبور أو أسماء محفورة على الصخور، وأغلبها على وزن فعّال، كصَبَّار، وحبَّار، وغيَّار، وهجَّام وغيرها.

والمتمأمل في أجدديتها يجد أنها منحدره من الأبجدية العربية الجنوبية؛ وقد حاول البعض نسبتها إلى الأبجدية الطورسي نائية كما فعل جرایم (Grimme) الذي قال إن الأبجدية الثمودية قد نشأت وتطورت من الأبجدية السينائية ومن الكتابات التي سبقت الثمودية مباشرة. وقد اعتمد جرایم في ذلك على التشابه بين بعض أشكال الحروف السينائية والثمودية مباشرة وقال إن شكل الحروف (ج، د، ح، ث) وغيرها متشابهة تماما في كل من السينائية والثمودية. ومن الاعتراضات على هذا المبدأ: أن الأبجدية الثمودية التي اعتمد عليها جرایم من الجائز أن تكون غير قديمة؛ إذ إن للحروف أو للحرف الواحد بالثمودية أكثر من ستة أشكال مختلفة. وقال أيضا: إن النقوش الثمودية تحتوي على أشكال قديمة جدا وهي ما اعتبرها قريبة من السينائية وثمودية متأخرة واعتبرها وسطا في التطور بين السينائية والعربية الجنوبية غير أنه لم يورد الأدلة الكافية لإثبات مثل هذه النظرية. (بعلبكي، رمزي، ١٩٨١م، ص ١٢١)

وتتألف الأبجدية الثمودية من ثمانية وعشرين شكلا وكل شكل من هذه الأشكال له مدلول خاص، أي أنها تشبه الأبجدية العربية الفصحى في هذه الناحية، ولا تفصل بين كلماتها فواصل معينة. أما طريقة الكتابة فكانت من اليمين إلى اليسار وبالعكس وأحيانا بشكل دائري حسب المساحة التي نقشت عليه أحرف النقش، وليس من اليسير التعرف على بدايات النقوش إلا بعد مراس وتجربة.

المراحل التاريخية للنقوش الثمودية

ربما يصح القول هنا إن النقوش الثمودية من أهم النقوش العربية الشمالية القديمة وأوسعها انتشارا، وأطولها عمرا، وأكثرها عددا وغزارة من النقوش الصفوية والدادانية، وهي في ذلك تشبه النقوش السبئية بالمقارنة مع النقوش القتبانية والمعينية، والحضرية فيما

يتصل بالنقوش العربية الجنوبية. على هذا، فقد حاول بعض العلماء (الذبيب، سليمان عبد الرحمن، ١٩٩٩م، ص ١ - ٩) تقسيم النقوش الثمودية إلى مراحل تاريخية متميزة، ولعل من أبرزهم "ونيت" الذي صنفها إلى خمس مجموعات هي: A,B,C,D,E ثم عاد لاحقا وقسمها إلى أربع مجموعات معتمدا على ثلاثة أمور:

الأول: الاختلاف في أشكال الحروف.

الثاني: الاختلاف في أشكال المفردات.

الثالث: الاختلاف في أشكال اتجاه الكتابة.

وهذه المجموعات هي كالتالية:

أ - القلم الثمودي التيمائي: وهو في التصنيف الأول (A)

ب - القلم الثمودي النجدي: وهو (B) في التصنيف

ج - القلم الثمودي الحجازي: وهو المجموعتان (C+D) في التصنيف الأول، ويعود إلى الفترة الواقعة بين القرن الثاني قبل الميلاد إلى منتصف القرن الثالث الميلادي.

هـ - القلم الثمودي التبوكي: وهو (E) في التصنيف الأول الذي أرخه (ونيت) زمنيا بالفترة الواقعة فيما بين القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي.

ولقد ظهرت تقسيمات أخرى بعد ما ذهب إليه ونت، منها تقسيمة الذبيب الذي رأى أن النقوش الثمودية مرت بأربع المراحل التاريخية، وهو موفق في رأينا في هذا التقسيم هي:

- ١ - الثمود المبكر التي استخدمت لستة قرون.
 - ٢ - الثمود المتوسط (الانتقالي) واستمرت حتى القرن الثاني واستخدمت في الحجاز فقط.
 - ٣ - الثمود المتأخر واستمر استخدامها حتى نهاية القرن الرابع الميلادي.
- وبناء على تقسيم الذيب هذا، يمكن القول أن تطور النقوش الثمودية يعكس تغيرات في التقنيات الفنية والتعبير الفني عبر الزمن.
- على الرغم من أن الدراسات والأبحاث حول تطور النقوش الثمودية لا تزال محدودة إلى حد ما، إلا أنه ربما يصح تقسيم تطورها بشكل عام إلى مراحل قد تشمل:
١. **النقوش البدائية والأولية:** تظهر في هذه المرحلة النقوش البسيطة والأشكال البدائية مثل: الخطوط والدوائر والرموز الأولية. تُعتبر هذه المرحلة الأولى من تطور النقوش تعبيراً أولياً لمجتمعات تعيش في فترة مبكرة.
 ٢. **النقوش المتقدمة والمتطورة:** تظهر في هذه المرحلة نقوش أكثر تعقيداً وتفصيلاً، حيث تزداد التقنيات الفنية وتطور المهارات الفنية للفنانين القدماء.
 ٣. **التأثيرات الثقافية والتقنية:** يمكن أن تشهد مراحل تطور النقوش تأثيرات من الثقافات المجاورة والتبادل الثقافي والتقنيات الجديدة التي يمكن أن تدخل إلى المنطقة وتؤثر على الأساليب الفنية.
 ٤. **التطورات الاجتماعية والثقافية:** قد تعكس النقوش تطورات اجتماعية مثل: تغيرات القيم والديانات والحياة اليومية للشعوب التي أنشأت هذه النقوش.

والحق أنّ تحديد مراحل تطور النقوش الثمودية يعتمد على الأدلة المتاحة ودراسات الفن الصخري والسياق الثقافي، وكذلك تطور التقنيات العلمية والدراسات الجديدة باستمرار. وهذا كله قد تساهم في توضيح المزيد من المعلومات حول تاريخ وتطور النقوش الثمودية.

خصائص النقوش الثمودية وموضوعاتها

إن الباحث في النقوش الثمودية المكتوبة على الأحجار يجد أن بعض الظواهر اللغوية غير مكتملة النمو، وهي بذلك تشبه معظم اللهجات العربية القديمة. ويمكن إرجاع ذلك إلى أن أصحابها كانوا من الذين تنقلوا في أنحاء الجزيرة العربية. (نامي، خليل، ١٩٧٤م، ص ١٥)

والنقوش الثمودية عبارة عن خلجات قصيرة وسريعة كتبت من قبل جماعة من الناس عاشوا في بيئة واحدة ونشروا نقوشهم في أماكن عديدة ومختلفة، في أعالي شبه الجزيرة العربية ووسطها وجنوبها، وخارج الجزيرة العربية في مصر وبلاد الشام، حسب المعروف والمكتشف إلى وقتنا الحاضر من النقوش. ولا ندري فرمما أن معاول الآثاريين قد تكشف لنا من بين الرمال والفيافي والقبور والمدن نقوشا أكثر وضوحا، وأعمق تعبيرا في نواح مختلفة. ومما ساعد على تميز هذه النقوش أنها كتبت لتلي حاجات خاصة جدا ومعينة كان يفهمها أهلها في ذلك الوقت فهما يوصلهم إلى مبتغاهم. لذا جاءت قصيرة ومعبرة إلى حد كبير عن المقصود في نظرهم وإلا لما استمرت لفترة طويلة بهذا الأسلوب.

وربما يصح إذا قلنا إننا لم نعرف طريقة معينة لكتابة النقوش الثمودية ولم نعرف أسلوبا معيناً لبداية النقش أو نهايته، كتبوا من اليمين إلى اليسار، ومن اليسار إلى اليمين في آن واحد، ومن أعلى إلى أسفل، ومن أسفل إلى أعلى، حسب ما يراه الكاتب الجالس على

صخرته، وهو سجل ذكرياته. ولقد لوحظ أيضا أن بعض الحروف تخالف اتجاه النقش نفسه، فإذا كان النقش قد بدأ من اليمين إلى اليسار، نجد في وسط النقش حروفا تتجه بعكس هذا الاتجاه. ففي النقش (JST ٣١٧) مثلا: ه ع ث ر س م ن و د ه و ن (١٤ عشر سمن السلام لهون). فإن اتجاه النقش من اليمين إلى اليسار، أما الحرف (ر) في النقش فقد كتب معكوسا والكلمات غير مفصولة في النقوش بفواصل غير أن بعض الحروف تساعد في التعرف على بعض الفواصل مثل: ب. ل. و. ف. ذ. (A.F.L. Beeston, 1962, p.3.

ويفهم من السطور السابقة أن النقوش الثمودية تمتاز بعدة خصائص تميزها كنظام فني صخري، ومن أبرز هذه الخصائص:

- ١- **التنوع الرمزي:** تحتوي النقوش الثمودية على مجموعة متنوعة من الرموز والرسومات الصخرية التي تشمل الإنسان والحيوانات والنباتات والرموز الهندسية.
- ٢- **الرسوم الصورية:** تظهر في النقوش الثمودية رسوم صورية للحيوانات والإنسان والمشاهد اليومية أو الحوادث المهمة، وتعتبر هذه الرسوم محاولات لتمثيل الحياة اليومية أو رموزاً ذات دلالة خاصة.
- ٣- **الرموز الهندسية:** تظهر أيضاً رموز هندسية معقدة قد تحمل معاني خاصة أو رمزية تعكس تفاصيل ثقافية أو دينية.
- ٤- **التنوع الجغرافي:** توجد هذه النقوش في مناطق متعددة، وقد يكون لها توزيع جغرافي محدد في الصحاري أو المناطق الصخرية.

٥ - الأهمية الثقافية والتاريخية: تكتسي النقوش الثمودية أهمية كبيرة كتراث تاريخي يعكس حضارات وثقافات قديمة، ويعتبر فهمها وترجمتها تحديًا مستمرًا للعلماء والمهتمين بالتراث والتاريخ القديم.

وأما عن مضامينها، فإنه يظهر من خلال وقوفنا على بعض النقوش الثمودية التي عثر عليها في أماكن عديدة من الجزيرة العربية في شمالها ووسطها وبعض النقوش الأخرى خارج الجزيرة العربية، سواء في مصر، أو لبنان، أو سوريا، أو الأردن، قصيرة جدا ولم تزود العالم إلا بمعلومات قليلة، وغالبها ما يضم اسم الكاتب أو اسم أبيه وتندر الكتابات التي تحوي اسم الجد أو جد الأب. وهذا يعني أن الذين كتبوا هذه النقوش أصحاب حضارة وركي، لذا فقد اهتموا بالأنساب أكثر من غيرهم. والنقوش الثمودية قصيرة وموجزة كتبها ونقشها الثموديون ليسجلوا أسماءهم للذكرى، وقليل منها أدعية لألهتهم وهي صعبة القراءة لأنها خالية من الشكل والإشباع، والحركات والتشديد. وإلى جانب ما ذكرت فإن النقوش الثمودية لا تخلو من مواضيع أخرى طرقها كاتبو النقوش، ففيها إلى جانب النقوش التذكارية، نقوش ملكية (التملك) ونقوش جنائزية وابتهالات للآلهة باسم الشخص الذي قام بكتابة النص أو أن تكون قد كتبت من قبل كاتب لشخص آخر ذكر اسم الكاتب واسم الشخص المكتوب عنه النقش.

١. النقوش التذكارية

وهي النقوش الغالبة فيما عثر عليه من نقوش ثمودية إلى وقتنا الحاضر. ومن هذه النقوش ما احتوى على اسم علم واحد أو أكثر وفي بعض النقوش يتبع أسماء الأعلام حوادث خاصة أو عامة جلبت انتباه كاتب النقش فسجلها كذكرى، أو أنه يجد أثناء تجواله نقش صديق له، أو عدوه فيذكر ذلك في نقشه. أو أن يرى أسدا، أو أن يشهد

معركة بين قبائل معينة فيذكرها، أو يؤرخ بحادثة من الحوادث، أو يذكر أنه رعى في هذا المكان، أو حل بهذا المكان، أو أنه يذكر هروبه من أهله والتجائه لأقربائه. فالذكرى لها منزلة خاصة عند كتاب التمودية كما وعثر على نقوش يسأل كتابها الآلهة أن تذكرهم. وهذه النصوص غالباً ما تشتمل على عدد من الاصطلاحات وهي على سبيل المثال: "و د د" تحيات، "و د د ف" تحيات ل، أو الأداة "ل"، "ل م" التي تعني بواسطة إضافة إلى اسم العلم، مثل: "و د د ف ه ج ل"، أي تحيات لفاجرة.

٢. نقوش الامتلاك أو الملكية للأشياء

إن التموديين حينما يرسمون رسمة لجمل أو فرس أو غيره؛ تجده يكتب اسمه بجوار هذه الرسمة كتوثيق للملكية هذه الرسمة، أو كأنه يقول إن من رسم هذه الرسمة هو أنا، فيكتب مثلاً: ه بكرة ل أوس أو ه فرس ل سلمة. وقد يكتب معها صفة للناقة أو الفرس مثل: لسراقة ه فرس ه رهوي. ويقصد هذا الفرس الساكن لسراقة. ورهوي تعني الساكن. وهذا النوع من النقوش ما أكده الذيب أن النقوش الملكية أو نقوش الامتلاك في كتابات التموديين لم تقتصر على بيان امتلاكهم فقط للحيوانات، بل حتى تلك الممتلكات المعمارية منها أو الزراعة، مثل: "ه ن ب ا ف ش ر غ ل و ..."، أي هانيء بن أفش وأرغل قطف الزرع و فهي تعني امتلاكهم المزارع الدائمة التي يزرعون فيها ما يستخدمونه في حياتهم اليومية.

٣. النقوش الدعائية

وهي ما تكون غالباً عبارة عن اسم علم فقط أو اسم علم مع اسم والده أو قبيلته ثم اسم الإله الذي يطلب منه المساعدة، أو أن يذكر اسم الإله بالبداية ثم يطلب منه المساعدة

ويذكر بعد ذلك اسم الشخص صاحب النقش. وبعبارة أخرى هي التي تضمنت الدعاء للإله مباشرة وتضمنت مجموعة من الأدعية مثل النصوص التي تخص بالدعاء (ن ه ي) "ب ن ه ي ع ط ث ي"، أي يا نهي أمت ثوي. وقد حظت هذه النقوش من قبل النساء، ففعل كون النساء هن الطرف الأضعف ولا يستطعن المواجهة المباشرة، لذا فضلن عند الأزمات الالتجاء للآلهة بالدعاء بالويل والثبور على ما واجهته. والاحتمال الآخر يمكن في كون النساء هن الأكثر التزاما وتدينا لذا يتوسلن ويدعين الآلهة، وهكذا فلا غرابة أن تكون معظم النقوش الدعائية قد كتبت من قبل النساء. (أسكوبي، خالد محمد عباس، ١٤٢٨هـ، ص ٣٩).

خاتمة وتوصية:

توصلت هذه الدراسة إلى أن لغة النقوش العربية القديمة في شمال الجزيرة العربية تمثل جزءاً هاماً من تراث العرب القديم وتاريخهم، حيث تتيح هذه النقوش فهماً أعمق للثقافة واللغة العربية وتطورها على مر العصور. ومع ذلك، فإن فك شفرة هذه النقوش وفهم معانيها وقواعدها اللغوية لا يزال تحدياً كبيراً بسبب ندرة المصادر والمعلومات المتاحة. وتقدم هذه الدراسة كذلك دلائل قوية على وجود علاقة وثيقة بين تطور اللغة العربية الشمالية القديمة والتغيرات الاجتماعية والثقافية التي شهدتها المنطقة خلال الفترة الممتدة من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي. وتُظهر النتائج كيف يمكن لتحليل النقوش أن يُلقي الضوء على جوانب مختلفة من حياة المجتمعات القديمة وتطورها. ولعل من أهم النتائج الهامة حول العلاقة بين تطور دلالات اللغة والتغيرات الثقافية والاجتماعية التي يقدمها موضوع الدراسة:

أولاً: تحولات دلالية تعكس انتقالاً من نمط حياة البداوة إلى الاستقرار:

* **الكلمات المتعلقة بالقرابة:** لوحظ تحول دلالي في بعض المصطلحات مثل "العشيرة" من دلالتها الواسعة التي تشمل جماعات كبيرة إلى دلالة أضيق تُشير إلى العائلة النووية، مما يعكس تحولاً نحو أنماط حياة أكثر استقراراً وتمركزاً حول الأسرة الصغيرة.

* **الكلمات المتعلقة بالثروة والتجارة:** اتخذت بعض الكلمات دلالات جديدة مع ازدهار النشاط التجاري، فمثلاً اكتسب مصطلح "القافلة" دلالات تتعلق بالتنظيم التجاري والربح، في حين ارتبطت كلمات مثل "السوق" بمفهوم المكان الثابت للتبادل التجاري.

* **الكلمات المتعلقة بالزراعة:** ظهرت كلمات جديدة تشير إلى الزراعة والمحاصيل والري، مما يدل على اعتماد جزء من المجتمع على الزراعة كمصدر رزق.

ثانياً: تحولات في الممارسات الدينية:

* **ظهور آلهة جديدة:** كشفت النقوش عن عبادة آلهة جديدة لم تكن معروفة في فترات سابقة، بعضها يرتبط بالخصوبة والزراعة، مما يعكس تأثير المعتقدات الدينية بتحول نمط الحياة.

* **تغيرات في طقوس الدفن:** أظهرت دراسة نقوش القبور تغيرات في طقوس الدفن ومعتقدات الآخرة، حيث أصبحت المدافن أكثر تعقيداً وتنوعاً، مما يعكس تغيرات في التصورات الدينية للحياة بعد الموت.

ثالثاً: التواصل الثقافي وتأثير اللغات الأخرى:

* اكتشاف كلمات مستعارة: تم التعرف على بعض الكلمات المستعارة من لغات سامية أخرى مثل الآرامية والسبئية، مما يشير إلى وجود تواصل ثقافي وتجاري بين المنطقة والممالك المجاورة.

وبناءً على نتائج هذه الدراسة، يوصى الباحث أن يتم تعزيز البحوث والدراسات المتعلقة بلغة النقوش العربية القديمة في شمال الجزيرة العربية، وأن يسعى المهتمون بتوجيه الجهود نحو جمع المزيد من النقوش والمصادر المتاحة وتوثيقها بشكل مناسب، ويطلقوا تطبيق التقنيات الحديثة مثل التصوير بالأشعة والتصوير الثلاثي الأبعاد لتسهيل دراسة وتحليل النقوش.

المصادر والمراجع

أسكوبي، خالد محمد عباس، (١٤٢٨ هـ). دراسة تحليلية مقارنة لنقوش ثمودية من منطقة رم بين ثلثوات وقيعان الصنيع جنوب غرب تيماء، الرياض - دار الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية.

بعلبكي، رمزي، (١٩٨١ م). الكتابة العربية والسامية، بيروت-دار العلم للملايين.
الحمود، ولاء، (٢٠٢٠ م). التطور التاريخي في المملكة العربية السعودية / مملكة دادان (العلا) بالمدينة المنورة في المملكة العربية السعودية، موسوعة المملكة العربية السعودية، ٢٨ ديسمبر.

الذبيب، سليمان بن عبدالرحمن محمد، (١٩٩٩ م). نقوش عربية شمالية من جبل أم سلمان بمحافظة حائل، المملكة العربية السعودية، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض - المملكة العربية السعودية.

- السحيباني، عبد الرحمن، (١٤٤٢هـ). *دادان ولحيان، المجلة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية.*
- السعيد، سعيد بن فايز إبراهيم، (٢٠٠٠م). *حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، الجمعية التاريخية السعودية-كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الإصدار الثامن، المملكة العربية السعودية.*
- السعيد، سعيد بن فايز، وآخرون، (٢٠١٤م). *نقوش دادان: الدلالة والمضمون، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية.*
- السليمي، مالك بن عبيد، (٢٠٢٣م). *نقوش دادانية جديدة من محافظة العلا: دراسة تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى قسم الآثار - جامعة الملك سعود.*
- القحطاني، نواف بن سعيد، (١٤٤٤هـ). *النقوش الدادانية في جبل دادان بالعلا، رسالة الماجستير غير منشورة، كلية السياحة والآثار، جامعة الملك سعود.*
- نامي، خليل، (١٩٧٤م). *دراسات في اللغة العربية، دار المعارف.*
- ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، (١٤٣٨هـ). *دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.*